مأخذ العلم الأعظم

ومن أمعن النظر في أحوال المدركين المحققين من أهل العلم وجد أن ما يجري على ألسنتهم وسطرته أقلامهم من فتوح الله عزوجل عليهم ، إنما استمطروه بإقبالهم على الله عز وجل .

ومن تأمل في حالهم مع ربهم ؛ خضوعا ومحبة وإقبالا وإخباتا وإنكسارا ، أدرك أن مأخذ العلم الأعظم هو: تعلق القلب بالله- سبحانه وتعالى- ، ونزع النفس من كل قوة تعول عليها .

والمشغولون بقواهم النفسية من الفهم والحفظ ؛ دون اللياذ بالله والإقبال عليه ، لا يدركون مرادهم من العلم بالفهم والعمل ، فيحجبون عن هذا لما تتضمنه قلوبهم من الالتفات إلى غير الله سبحانه وتعالى والإنشغال به .

وكثيرا ما يشتغل طالب العلم بمآخذ العلم الظاهرة ؛ كحفظ المتون ، والحضور على الأشياخ ، ويغفل غفلة عظيمة عن إقبال قلبه على الله عزوجل ، وتعلقه به ، ورده الأمر كله إليه ، تضرعا ودعاء وسؤالا وذكرا .

فإن العلم رزق والأرزاق بيد الرزاق سبحانه وتعالى .

فمن تضرع إليه وأقبل عليه وأحسن الصنيعة معه ؛ فإن الله أكرم الأكرمين ، وهو يفتح لعباده ويهبهم من القدر ما لا يكون عند نظرائهم ؛ إجراء لرحمته سبحانه وتعالى عليهم .

فإياك يا طالب العلم والإغترار بجودة حفظك ، أو قوة فهمك ، أو كثرة إقبالك على الدروس وحضورك لها ، أو معرفتك بالأشياخ ، فإن ذلك لا ينفعك إذا كان قلبك غافلا عن الله سبحانه وتعالى .

واعلم أنه بقدر الإقبال وكثرة الاعمال وإحسان الصنيعة مع الله سبحانه وتعالى ؛ فإن الله يعلمك ما لم تعلم ، ويفتح لك من أبواب الفهم ما لا يكون لغيرك ، وذلك محض رحمة الله سبحانه وتعالى التى تخوض فيها .

فاعرف السبيل إليه وتمسك به واسلكه .